كلية الآداب

قسم التاريخ

البجة وعلاقاتهم بمصر الإسلامية

٢١-٥٦٧ هـ /٦٤٢-١١٧١م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

نهي حمدنا الله مصطفي حسن

المعيدة بالقسم

إشراف

أ.د / محاسن محمد الوقاد

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس القسم .

كلية الآداب جامعة عين شمس

د./ سند أحمد عبد الفتاح

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بالقسم

كلية الآداب جامعة عين شمس

١٤٣٥هـ-٢٠١٤م

جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم التاريخ

صفحة العنوان

اسم الباحثة: نهي حمدنا الله مصطفي حسن.

الدرجة العلمية: الماجستير .

القسم : التاريخ .

اسم الكلية : الآداب .

اسم الجامعة : جامعة عين شمس .

سنة المنح : ٢٠١٤.

مقدمة

كثيرة هي تلك الدراسات التي تناولت تاريخ مصر الإسلامية ,لكن القليل من هذه الكثرة من تناول تاريخ الأجزاء الجنوبية من تاريخ مصر الإسلامية ولا سيما تلك القبائل شبه المنعزلة في صحراء مصر الشرقية ومنها قبائل البجة التي سكنت هذه المنطقة وتوزعت قبائلها في مساحات شاسعة من مصر شمالاً ومروراً بالسودان وأريتريا والحبشة . وقد كانت هذه العزلة وهذا الإتساع الكبير الذي عاشت فيه هذه القبائل مدعاة لدراستها وإماطة اللثام عن تاريخها الطويل ولا سيما علاقاتها بجيرانها , وعلي الأخص مع مصر الإسلامية الذي يعنينا في المقام الأول .

وإذا كانت هناك بعض الدراسات التي تناولت جوانب بعينها من حياة هذه القبائل البجاوية , فإنه تبقي هناك بعض الجوانب في حاجة إلي الدراسة , لذلك فقد وقع إختياري علي موضوع (البجة وعلاقاتهم بمصر الإسلامية في الفترة الواقعة ما بين(٢١-٥٦٧هـ/٦٤١-١١٧١م).

وقد حوي موضوع الرسالة مقدمة , وفصلاًتمهيديا, وأربعة فصول فضلا عن الملاحق ودراسة لأهم المصادر و قائمة المصادر والمراجع.

جاء الفصل التمهيدي متحدثاً عن أصول البجة وعلاقاتهم بمصر قبل الإسلام في محاولة لوضع أساس لهذه العلاقات ننطلق منها لفهم العلاقات في زمن موضوع البحث , واقتضي منا ذلك شرحاً لخريطة توزيع القبائل البجاوية , والأماكن التي سكنوها وطبيعتها الجغرافية وتأثيرها علي حياتهم المعيشية وعلي عاداتهم وتقاليدهم, كما عرضنا أيضا في التمهيد لمسميات البجة في مصر الفرعونية ومصر البطلمية ومصر الرومانية , وما إذا كانت هناك ثمة علاقات في ذلك الزمن نتخذ منها منطلقاًإلي العصر الإسلامي .

وجاء الفصل الأول تحت عنوان (علاقة البجة بالإسلام) , إذ كان من الضروري معرفة دور مصر الإسلامية في نشر الإسلام في أوساط البجة , مما جعلنا نعرض لعقائد البجة قبل الإسلام , والمسالك التي دخل منها الإسلام إلي بلاد البجة , وعوامل إنتشار العقيدة الإسلامية بين هذه القبائل ثم مدي تأثيره عليهم من خلال تغلغل القبائل العربية التي وصلت إليهم وتصاهرت معهم .

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان: (علاقات البجة العسكرية والسياسية مع مصر الإسلامية) منذ زمن الولاة, فالطولونيين , فالإخشيديين ,فالفاطميين . وقد تبين لنا من خلال هذا الفصل أن العلاقات بين الطرفين قد اتسمت بالعداء المسلح

الذي وصل إلي حد الصدام , لكن في زمن الفاطميين طغت الأحداث السياسية التي جرت داخل الدولة الفاطمية علي العلاقات بين الطرفين .

أما الفصل الثالث فكان بعنوان (علاقات البجة الإقتصادية مع مصر الإسلامية) وتناول حياة البجة الإقتصادية وأهم المهن التي مارسوها كالرعي والإشتغال في البحث عن المعدن الذي مثل محوراً رئيسياً مع مصر الإسلامية , ثم تناول الفصل أيضا التجارة بين الطرفين وأثرها علي العلاقات بينهما .

وأخيراً جاء الفصل الرابع تحت عنوان (علاقات البجة الإجتماعية والثقافية بمصر الإسلامية) متناولا مجتمع البجة في صحراء مصر الشرقية , والقبائل العربية التي نزحت إلي بلاد البجة وتأثيرها علي مجتمعهم ولا سيما التأثير الثقافي .

وقد اعتمدت هذه الدراسة علي عدة مصادر متنوعة تأتي في مقدمتها المصادر الأصلية التي عاصرت هذه الأحداث وقدمت للبحث تفاصيل دقيقة سوف نقدم حولها دراسة مختصرة توضح قيمتها العلمية في إثراء الدراسة .

وقد جري عرض وكتابة هذه الدراسة من خلال منهج علمي هو المنهج التاريخي الذي حاولت فيه ما استطعت أن أسير علي هدي من خطاه وصولاً إلي الحقيقة التاريخية أو حتي الإقتراب منها , كما أنني حاولت بقدر الإمكان أن أبدي بعض الآراء أو التعليقات علي بعض القضايا والأحداث في محاولة مني للإجابة علي بعض التساؤلات أو الغموض الذي يكتنف الحادثة التاريخية . كما أنني اجتهدت بقدر المستطاع ان اعرض موضوع بحثي بلغة عربية سليمة .

وقبل ان أنهي هذه المقدمة كان لزاماً عليّ من باب الأمانة العلمية والوفاء أن أقدم الشكر خالصاً لكل من مد لي يد العون وأخص بالشكر كل الجهات العلمية والمكتبات وعلي رأسها (معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان) بالعباسية بالقاهرة , والمعهد الثقافي الألماني بالزمالك , والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة ومكتبة معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة , ومكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس وغيرها من المكتبات الأخري .

وفي الختام يطيب لي أن أقدم الشكر خالصاً لكل من قدم لي يد العون في إخراج هذا العمل , فالشكر لله اولاً أن أنعم عليَ بإتمام بحثي هذا , والشكر أيضاَ لأساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا عليَّ في تقديم المشورة والنصيحة العلمية وعلي رأسهم الأستاذة الدكتورة محاسن محمد علي الوقاد والدكتور سند احمد سند المشرفين علي الرسالة , فمهما تحدثت عن فضلهما فلن أستطيع .. بارك الله فيهما ومتعهما بالصحةوالعافية . والشكر أيضاً لأساتذتي بالقسم وعلي رأسهم الأستاذ الدكتور

محمود إسماعيل شيخ مؤرخي التاريخ الإسلامي والمفكر المبدع فقد كان دائم المتابعة لي نصحاً وتوجيهاً ,وكذلك إلي أساتذتي وزملائي وزميلاتي بالقسم جميعاً .

ولن انسي والديَ الكريمين .. أمي التي وفرت لي كل سبل الراحة , وأبي الذي راجع معي مسودة الرسالة كلمة كلمة , فلهما مني كل البر والدعاء بموفور الصحة والعافية .

وأخيراً أُقول انني في بداية مسيرتي العلمية أسعي إلي الإصغاء إلي توجيهات أساتذتي ولا أدعي أنني كتيت الفصل الأخير في دراستي هذه فسوف يظل باب الإجتهاد والإبداع مفتوحاً لكل مجتهد ومفكر .. فهل انال ثواب المجتهدين ؟!

الباحثة

فصل تمهيدي

أصول البجة وعلاقاتهم بمصر قبل الإسلام

١. أصول البجة وأقسامهم وأماكن تواجدهم.
٢. عادات البجة وتقاليدهم.
٣. علاقاتهم بمصر الفرعونية.
٤. إشكالية الإسم في العصرين البطلمي والروماني.
٥. علاقاتهم بمصر البطلمية.
٦. علاقاتهم بمصر الرومانية.

فصل تمهيدي

أصول البجة وعلاقاتهم بمصر قبل الإسلام

قبل أن نتتبع علاقات البجة بمصر الإسلامية يجدر بنا أن نتعرف أولاً على أصولهم وعلاقاتهم بمصر قبل الإسلام، من حيث أقسامهم الإثنية وأماكن تواجدهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ثم نتلو ذلك كله بالنظر في علاقاتهم- بإيجاز- مع مصر الفرعونية، ومصر البطلمية، ومصر الرومانية لنخلص في نهاية المطاف إلي ما طرأ على هذه العلاقات مع مصر الإسلامية من تغيير حتى يمكننا أن نجيب على كل تساؤل طرأ على مسيرة هذه العلاقات.

أصول البجة:

عرفت مجموعة القبائل البجاوية باسم البجة أو البجاة، وإن كان قد غلب على تسميتهم اسم البجة (بكسر الباء) Beja وهوالاسم المتداول لدي الأوروبيين [١].

ويري البعض أن كلمة (البجاة) تحريف لكلمة (المجا) المشتقة من كلمة (الماجوي) ومعناها في اللغة الفرعونية الحارس أو المحارب، فقد استخدمهم المصريون القدماء في الحرب وحراسة حدود الصحراء [٢].

ويذكر ترمنجهام Trimingham أن اسم البجة أطلقه الكتاب العرب على مجموعة القبائل البدوية الحامية التي تعيش في المنطقة الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، وأنه على الرغم من اختلاطهم وتزاوجهم مع الغرباء فقد شكلوا وحدة متميزة من حيث السمات الجسمانية واللغوية. وقد أشار سليجمان Siligman إلي وجود شبه جسماني واضح بين البجة والمجموعة المصرية في زمن ما قبل الأسرات [٣].

---

(١) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٣، انظر أيضًا: دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٦ القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٣٤

(٢) سعاد ماهر: محافظات الجمهورية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦، ١٣٨٦هـ ص٢٠٥، أنظر أيضًا: محمد محمود الحويري، أسوان في العصور الوسطي، القاهرة ١٩٨٠، ص٥٨

(٣) Trimingham; J.S. Islam in the Sudan, oxford uni. Press London ١٩٤٩ p.١٩ ايضا . محمد عوض :السودان الشمالي, ص ٣١ .

أنظر أيضًا:

P.M. Holt; The history of the Sudan from the coming of Islam to the present day. Third. Edition, ١٩٧٩ p.٨

وأيضا: راجية محمد عفت: الثقافة العربية في شرق أفريقيا, رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٠.

ويستوقفنا قول سليجمان بأن البجة والمصريين القدماء ينتمون إلي سلالة واحدة أو متقاربة وعلى الأخص سكان الصعيد الأعلي الذين لم تتسرب إليهم دماء آسيوية أتت غازية أو مهاجرة عن طريق برزخ السويس. وقد إعتمد في ذلك على تشابه في الشكل العام من خلال مقارنة جرت بين جماجم المصريين القدماء وبين البجاة، كما أنه يري من ناحية أخري وجود صلات ثقافية بينهم وبين المصريين القدماء، ويتمثل ذلك في اتصال معتقداتهم القديمة بأصول الديانة المصرية التي تعلقوا بها وحافظوا عليها. (٤)

ويتمثل ذلك في عبادة الإلهة إيزيس في جزيرة الفنتين (قصر أنس الوجود) وأنها أنتشرت بشكل واضح بين قبائل البجة. (٥)

وهناك من يري أن أصل البجة يرجع إلي تك القبائل الحامية التي سكنت الصحراء الشرقية من قديم الزمان وجري اختلاطها على مراحل طويلة مع جماعات عربية من قبيلة (بلي) التي هاجرت إلي تلك المنطقة التي أصبحت تعرف بإسم (البليميين) أو (البليين)، واستطاعت أن تسيطر على قبائل البجة وأن تتبوأ مركز الزعامة فيهم .(٦)

وللخروج من هذه الإشكالية يمكننا أن نرجح قول بول Paul بأن البجة شعب حامي سامي إنقسم إلي مجموعتين رئيسيتين إحداهما جنوبية حافظت على نقاء جوهرها الحامي لقلة إختلاطها بالعناصر السامية، ولكنها- ومع ذلك كله- أخذت عن الساميين لغتهم، ويمثلهم قبيلة بني عامر، وأما إسمها العربي الصريح الذي أورده (كيروان) Kirwan فمن المرجح أنه يرجع إلي الفترة التي تلت دخول البجة في الإسلام ورغبتهم في الإنتساب إلي قبائل عربية. (٧)والمجموعة الثانية شمالية وهي

---

(٤) صلاح الدين الشامي: السودان- دراسة جغرافية، ط٢، الإسكندرية ١٩٧٣، ص ٢٣٤
أنظر أيضًا:

T.R Howen; The Hadendowa, S.N.R, Vol x x part ii, ١٩٣٧, p.٢١٦.

(٥) فيليب رفله: العلاقات التاريخية والإقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٨٧

(٦) عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط ٢، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٦،
أنظر أيضًا: محمد عبد الله النقيرة، إنتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، الرياض ١٩٨٢ ص ٣٨، أيضًا: محمد محمود الحويري: المرجع السابق ص ٢٤٥، وأيضًا: أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٦، ط ٦، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٤٦، وأيضًا: محجوب زيادة: الإسلام في السودان، القاهرة، ١٩٦٠ ص ٢٥٠.

(٧) محمد محمود الحويري: المرجع السابق، ص ٢٤٦، أنظر أيضًا:

Kirwan; Studies in the later history of Nubia, p. ٧٤

أنظر أيضًا:

Adlan Al Hardello. Ms. Somaya E. El Tayeb; A case study of the eastern Sudan region, Cairo ٢٠٠٣ P. ٣٦

أقل نقاءً نظرًا لإختلاطها بالعرب غير أنها تبدو في مظهرها أكثر تمسكًا بالعادات والتقاليد واللغة الحامية وإن كان أفرداها قد عرفوا اللغة العربية. ويمثل هؤلاء بقية القبائل البجاوية مثل البشارية والأمرأر والأرتيقا والهدندوة .[٨]

ويرجع عدم نقاء وصفاء المجموعة الشمالية إلي مواجهتها المباشرة للهجرات وهي أول من اصطدم بهذه الهجرات, ومع ذلك كله فقد حافظت وتمسكت بعاداتها وتقاليدها خشية ذوبانها وسط هذه الهجرات فحافظت قدر المستطاع على لغتها وعاداتها.

أقسام البجة:

انقسم البجاة إلي أربعة أقسام رئيسية يمكن أن نطلق على كل منها اسم قبيلة وهي : "البشاريون" في الشمال الذين سكنوا صحراء العتباي، وأغلب البشاريين في الوقت الحاضر يقيمون في الأراضي المصرية، ويليهم من الجنوب "الأمرأر" الذين يمتدون نحو بورسودان، وإلي الجنوب منهم "الهدندوة" ويوجدون بكثرة في السودان في الوقت الحاضر، وتمتد ديارهم من سواكن إلي سنار، واحتلوا "دلتا القاش" وعاشوا على شواطئ العطبرة المجاورة لهم على خط ١٥°. أما القسم الرابع من البجة فيسمي "بني عامر" في الجنوب الشرقي حيث تمتد أوطانهم من طوكر في الشمال إلي داخل حدود أرتريا جنوبًا .[٩]

وبالإضافة لما سبق وجدت جماعات أخري من البجة ذات كيانات صغيرة مثل "الأشراف" و "الأرتيقا" و "الكميلاب" و "الحالنقا" وغيرهم دارت حول إنتمائهم خلافات كثيرة لا تزال حتى الآن لكن الشيء الذي لا يمكن تجاهله أنهم لا يزالون يعيشون بينهم حتى الوقت الحاضر. وتتمة للفكرة السابقة نشير إلي ذلك الخلط

---

(٨) مصطفي مسعد: البجة والعرب في العصور الوسطي (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٤، مجلد ٢١ ج٢). ص ٣، أنظر أيضًا: كرم كمال الدين الصاوي: التطور الإجتماعي في مصر الإسلامية وإنعكاسه على سودان وادي النيل في عصر الولاة. القاهرة ١٩٨٥ ص ٩٠، أنظر أيضًا : Paul; A history of the Beja tribes of the Sudan, ١٩٥٤, p. ٢٣-٢٥

(٩) محمد عوض محمد السودان: الشمالي، سكانه وقبائله، القاهرة ١٩٥١، ص ١٦.
أنظر أيضًا: محمد محمود الصياد: الناس في أفريقية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٧٦.
، أنظر ايضًا: سليجمان: السلالات البشرية في أفريقية، القاهرة ١٩٥٩، ص ٩١-٩٢.
، أنظر أيضًا: Hamilton. J.A; The anglo Egyptian from within. London, ١٩٣٥, p. ١٤٠، أنظر أيضًا:

Adlan Al hardello, Ms. Somaya; Op. cit, p. (٣٤-٣٦).

الذي ذهب إليه بعض الباحثين بين قبيلة العبابدة و قبيلة البشارية التي هي فرع من جماعة البجة، نظرًا لتجاور أوطانهم بل واختلاطها أحيانًا كثيرة في الصحراء الشرقية على طول الحدود بين مصر والسودان.

ومن هؤلاء الذين خلطوا بين العبابدة والبشارية كل من سليجمان ومحمد عوض محمد وما جاء في الموسوعة البريطانية وكل من أخذ عن هذه المصادر في أن العبابدة فرع من البجة وأنهم كانوا فيما مضي يتكلمون اللغة التبداوية Tobdeawi لغة البشارية والهدندوة وهي لغة حامية غير أنهم فقدوا لسانهم القديم وتكلموا العربية حتى الوقت الحاضر. (١٠)

وقد استند هؤلاء الباحثون على تجاور أوطان العبابدة والبشارية وتشابه الشكل وإدعاء اللغة المشتركة. ورغم وجاهة هذه العناصر المشتركة فإننا نتساءل متى كان لتجاور السكني أو حتى لتشابه الملامح أثر في ذلك؟ وإلا لأصبحت قبائل كثيرة متجاورة ومتشابهة الملامح من أصل واحد!. ودليلنا في ذلك- على سبيل المثال- قبيلة أو بلدة وادي العرب التي عاشت مئات السنين- ولا تزال- في قلب أوطان النوبيين ولم تأخذ عنهم لغتهم إطلاقًا، ولم تمح أصولها العربية وإن تشابهت وتطابقت- أحيانًا- ملامح أبنائها مع ملامح بقية النوبيين، كذلك فإنه لم يزعم أحد أن سكان بلدة وادي العرب من أصول نوبية.

ونضيف إلي ما سبق من أدلة أن العبابدة لم يتكلموا لغة البجة بل نطقوا بالعربية- ولايزالون- لكن ذلك لم يحل دون معرفة العبابدة بضع كلمات أو عبارات من لغة البجة بحكم الجوار, ويبدو أن جزءً من مسئولية التشكيك في هذه الأنساب يعود إلي بعض الكتاب الأوروبيين ومن سار على دربهم، كما فعل البعض حين شكك في إنتساب بعض القبائل إلي العروبة في غربي السودان لمجرد أن ملامحهم

---

(١٠) حمدنا الله مصطفي: العبابدة تحت الإدارة المصرية في السودان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩١، ص ١٠، وأنظر أيضًا سليجمان، س. ح: المرجع السابق. ص ٩١، ٩٢ وأنظر أيضًا: محمد عوض محمد السودان الشمالي. سكانه وقبائله ص ٨٠، ٨٤، أنظر أيضًا: محمد محمود الحويري: المرجع السابق. ص ٢٥٢، أنظر أيضًا:

Encyclopaedia of Islam, new Edition. Vol. I London, ١٩٦٠, p.I

، أنظر أيضًا:

Encyclopaedia Britannica, A new survey of universal Knowledge , Vo١. I, university of Chicago. P.٥

أنظر أيضًا:

Sudan Notes and Records (S.NR) vo١. xv١, ١٩٣٥, part. I p.١٣٧

أصبحت أبنوسيه اللون لمجاورتهم بعض القبائل الأفريقية متجاهلين أن الإسلام يسمح بالتزاوج من أهل الكتاب وإن اختلفت ألوانهم مما ينتج عنه لون جديد. [١١]

ويؤكد العبابدة في أنسابهم أنهم يرجعون في أصولهم إلي سلالة الزبير بن العوام أحد القواد الأربعة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب لنجدة عمرو بن العاص الذي كان يحاصر المقوقس إبان فتح مصر. [١٢]

ويتحدث البجة لغة حامية خاصة بهم تسمي "التبداوي" أو "بداويت" ولكن العشائر الجنوبية من البجة من أمثال قبائل بني عامر وجيرانهم يتكلمون لغة اخري تسمي "تجرة" وهي لغة سامية .[١٣] وليس معني ذلك أن البجة لا يعرفون اللغة العربية بل يتحدثون بها إضافة إلي هاتين اللغتين الرئيسيتين– إلا أن العربية لم تكن أبدًا لغتهم الأصلية، وتعتبر اللغة العربية والدين الإسلامي من أثار النفوذ العربي الإسلامي الذي دخل أوطان البجة في عهد متأخر إلي حد ما من ناحية الشرق أو الشمال. [١٤]

جغرافية بلاد البجة:

حدد المؤرخون المنطقة التي يقطنها البجة تحديدًا واضحًا، فقال عنها المسعودي: "وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقًا". [١٥]

وقد أيده في هذا التحديد النويري ,[١٦] أماالسيوطي فقد ذكر بأن "أول بلاد البجة من صحراء قوص، وآخر بلاد البجة أول الحبشة من سيف البحر مما يلي سواكن ودهلك". [١٧] وفي موضع آخر يقول المسعودي إن "مملكة البجة تلي النوبة وهي أيضًا ممالك عديدة وهم بين النيل والبحر وفي كل مملكة ملك، وأن أول بلاد البجة من حد السودان وهي آخر عمل المسلمين".[١٨]

([١١]) حمدنا الله: المرجع السابق، ص ١٠
أنظر أيضًا: Macmichael, O.S.O; A history of the Arabs in the Sudan, combridge, ١٩٢٢, p. ١٩٧
([١٢])ابن عبد الحكم : حسن أحمد خليفة العبادي: من زوايا التاريخ السوداني في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩١٤ ص٥
([١٣]) Macmichael, O.S.O; (B) Op.Cit .p.٣٥
([١٤]) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص٢٥٠
([١٥]) المسعودي, أبو الحسن علي بن الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، ج ٢، ط ٢، القاهرة ١٩٤٨- ١٣٦٧ هـ ، ص ١٨
([١٦]) النويري ,شهاب الدين أحمد عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر ١٥ ط ١،القاهرة, ١٩٤٢ ص٢٨٩
([١٧]) السيوطي ,الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن: رفع شأن الحبشان، تحقيق محمد عبد الوهاب فضل، القاهرة ١٩٩١، ١٤١١ هـ، ص ٧١.
([١٨]) المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، ج ١، بيروت ١٩٩٦/ ١٤١٦ هـ، ص ٩٠

أما الإصطخري فيقول: "وإذا أخذت من القلزم غربي هذا البحر فإنه ينتهي إلي برية قفرة لا شيء فيها إلي أن يتصل ببادية البجة". [١٩]

ويقول الإدريسي أيضًا: "وتجاور أرض الحبشة في جهة الشمال أرض البجة وهي بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد". [٢٠] كما ذكرهم ابن ظهيرة بقوله: "البجاة أو البجة كانت أول بلادهم قرية تعرف بالخربة ومعدن الزمرد في صحراء قوص وآخر بلادهم أول الحبشة". [٢١]

ويقول القزويني "البجة بلاد متصلة بأعالي عيذاب."[٢٢] كما يقول ابن سعيد المغربي "كانت البجة تحتل الأراضي التي تمتد على ساحل البحر الأحمر بين قصير (القصير حاليًا وهي على ساحل البحر الأحمر) والحبشة". [٢٣] أما ابن خلدون فقد ذكر أن " مجالات البجة شمالي الحبشة ما بين جبل العلاقي في أعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي" .[٢٤]

إضافة إلي هؤلاء جميعًا أشار ناصر خسرو قائلاً : "وعلى يمين عيذاب ناحية القبلة جبل من خلفه صحراء عظيمة بها مراعٍ واسعة وخلق كثيرون يسمون البجة وهم يسكنون صحراء طولها أكثر من ألفي فرسخ وعرضها ثلاثمائة فرسخ وليس في هذه المسافة الشاسعة سوي مدينتين صغيرتين تسمي الأولي بحر النعام والثانية عيذاب، وتمتد هذه الصحراء من مصر إلي الحبشة وذلك من الشمال إلي الجنوب، وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب إلي الشرق ويقيم بها البجة. "[٢٥] أما ليو الأفريقي فقال عنهم "إنهم قوم مساكنهم بين النيل والبحر". [٢٦]

([١٩]) الإصطخري ,أبو اسحق إبراهيم محمد الفارسي : مسالك الممالك، ١٩٢٧، ص ٣٥

([٢٠]) الإدريسي ,أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد ١ (ب. ت) ص ٤٦

([٢١]) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفي السقا، كامل المهندس، القاهرة ١٩٦٩، ص ٦٣

([٢٢]) القزويني. زكريا محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٧٩، ص ١٨

([٢٣]) المغربي .أبي الحسن علي بن موسي سعيد :كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١ بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٣٦

([٢٤]) ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد: مقدمة بن خلدون، ح ١، ص ١، مكة المكرمة ١٩٩٤ م/ ١٤١٤ هـ، ص ١٤

([٢٥]) ناصر خسرو، سفر نامة ,ترجمة د. يحيي الخشاب ط ٣) القاهرة ١٩٩٣,ص١٣٤.

([٢٦]) الحسن بن محمد الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخيضر ط٢، بيروت ١٩٨٣، ص ١٨٥.

هكذا حدد المؤرخون المسلمون المناطق التي سكنها البجة والتي أجمعوا على أنهم سكنوا الصحراء الشرقية جنوبي مصر ما بين نهر النيل والبحر الأحمر من جنوبي أسوان وإلي الشرق من بلاد النوبة ، وامتدت مواطنهم جنوبًا حتى الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة من البحر الأحمر في الشرق إلي النيل ونهر العطبرة في الغرب. [٢٧]

وتتصف أوطان البجة بصفات جغرافية خاصة من حيث اختلاف ظروف البيئة الطبيعية التي غلبت على معظمها الصفة الصحراوية. ولعل أبرز ظاهرة تضاريسية فيها هو امتداد سلاسل جبال البحر الأحمر في حلقات متصلة من الجنوب إلي الشمال فيما عدا مكان واحد يشقه (خور بركة)، ثم إن هذه السلاسل الجبلية تمتد في محاذاة البحر الأحمر، وقد تقترب منه أحيانًا بحيث تكاد تشرف على مياهه وقد تبتعد عنه أحيانًا أخري بحيث لا تترك إلا سهلاً ساحليًا ضيقًا ينحدر نحو البحر، وتنتهي المنحدرات الغربية لجبال البحر الأحمر إلي مناطق سهلية نسبيًا، وهذه بدورها تنحدر إنحدارًا تدريجيًا نحو نهر النيل. [٢٨]

وقد تميزت المنطقة الساحلية بالجفاف وتخللت أراضيها الخيران التي تصب في البحر الأحمر، ولا يوجد أي نوع من الزراعة على امتداد هذا الساحل القاحل. أما جبال البحر الأحمر فتتخللها الوديان والخيران أيضًا. [٢٩]

ومع أن أوطان البجة يغلب عليها الجفاف بصفة عامة ولاسيما في الشمال حيث توجد صحراء العتمور وصحراء العتباي[٣٠] فإنها لا تخلو من بعض الأقاليم التي يغزر فيها النبات في بعض فصول السنة، ويرجع ذلك إلي اختلاف مواسم سقوط المطر فضلاً عن اختلاف كمية سقوطه من كثرة وقلة، فالمرتفعات المنحدرة شرقًا وكذلك الجهات الساحلية مطرها شتوي، أما المرتفعات التي تنحدر نحو الغرب وما يليها في هذا الإتجاه فمطرها صيفي، وأغزر هذه الأقاليم مطرًا هو سهل البطانة بين النيل الأزرق والعطبرة . وعلى هذا النحو فإن البيئة البجاوية تدعو إلي العزلة نظرًا

([٢٧]) كرم كمال الدين الصاوي باز: المرجع السابق. ص ١٩٨، أنظر أيضًا: حمدنا الله مصطفي: التطور الاقتصادي والإجتماعي في السودان (١٨٤١- ١٨٨١)، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣١٣.

([٢٨]) مصطفي مسعد: المرجع السابق، ١١٩

([٢٩]) محمد سليمان ضرار:أمير الشرق (عثمان دقنة)، ط ١، الخرطوم، (ب.ت) ص ٩

[٣٠] صحاري موجودة في شمال بلاد البجة (انظر مصطفي مسعد :البجة والعرب, ٢).

لقسوتها ولاسيما الأقاليم الشمالية حيث يشتد الجدب وإن كانت الآبار والمراعي الفقيرة المتناثرة في بعض جهاتها تخفف قليلاً من وطأة هذه القسوة.

في هذه المنطقة ذات البيئة القاسية عاش البجة منذ أقدم العصور وهم يصارعون هذه البيئة وتصارعهم حتى سلست لهم قيادتها وطبعتهم هي كذلك بطابعها فأصبحوا عنصرًا هامًا من عناصرها. (٣١)

ثانيًا: إشكالية الإسم في العصرين البطلمي والروماني:

قبل الولوج في تتبع علاقات البجة بدولتي البطالمة والرومان في مصر نود الإشارة إلي إشكالية الصلة بين مسمي (البليميين) ومسمي (البجة) زمن البطالمة والرومان وهل هناك ثمة علاقة بينهما؟ وهل هما مترادفان لمسمي واحد، فقد أطلق الكتاب القدماء من اليونانيين والرومان على البجة اسم (بليميين) Blemmyes، حيث وردت أول إشارة إلي هذا الإسم في مؤلفات الشاعر اليوناني (ثيوفريت)، حين ذكر أنهم سكنوا في أقصي الجنوب قرب منابع النيل، بيد أن (أراثوسطين) الجغرافي اليوناني (٢٧٦- ١٩٦ ق.م) قد ذكر أن البليميين والميجابارريين سكنوا المنطقة السفلي من أثيوبيا وعلى طول النيل حول مروي وامتدت أوطانهم من النيل إلي الصحراء الشرقية. (٣٢)

كذلك فقد جاء في تاريخ حياة الأنبا شنودة رئيس رهبان بانو بوليس (أخميم) في منتصف القرن الخامس الميلادي, من خلال النص المكتوب باللغة القبطية في أواخر القرن السادس الميلادي- إشارة إلي هؤلاء باسم (بالنموي) Balanemawi، ولما ترجم الأصل القبطي الذي كتبه أحد تلاميذ الأنبا شنودة إلي اللغة العربية في القرن الثالث عشر الميلادي جاء لفظة "البجا" محل لفظ بالنموي وهو قريب من لفظه البليميين. (٣٣)

---

(٣١) مصطفي مسعد: المرجع السابق ص ٢، أنظر أيضًا, صلاح الدين الشامي: المرجع السابق. ص ٢٣٤، وأيضًا: كرم الصاوي: المرجع السابق ص ١٩٩، وأيضًا: عبد الله الطيب: إلي الحبشة أم إلي السودان كانت هجرة المسلمين، ١٩٩٥، ص ٥٩٦

(٣٢) مصطفي مسعد: المرجع السابق، ص ٥

(٣٣) مصطفي مسعد: المرجع السابق ، ص ٦

وفضلاً عن ذلك فإن التاجر المصري كوزماس Cosmas قد تعرض لذكر سكان الصحراء الشرقية في كتابه الذي ألفه بين عامي ٢٣٥- ٢٤٧ م بقوله إن البجه من سكان الصحراء الشرقية وهم الذين أخضعهم بطليموس بن أرسينوي لسلطانه. (٣٤)

ويبدو أن اسم البليميين قديمًا لم يكن عامًا وشاملاً لجميع سكان الأقاليم التي يسكنها البجة في الوقت الحاضر وإنما انصرف فقط إلي جماعة أو أكثر من جماعات البجة ولاسيما القريبين من الحدود الجنوبية لمصر، وهم الذين سيطروا على مناجم الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية واحتلوا إقليم (دود يكاشينوس) في النوبة السفلي زمن الرومان في مصر. ومع هذا فإن هؤلاء ظلوا يعرفون وقتذاك أيضًا باسم البجة، أما بقيتهم ولاسيما الجنوبيين منهم فإنهم احتفظوا باسمهم القديم الذي عرفوا به في النقوش الأكسومية. (٣٥)

والراجح أن البليميين كانوا طبقة أرستقراطية استطاعت بما لديها من خبرات وصفات حربية ممتازة أن تسيطر على مجموعة كبيرة من البجة الشماليين مدة ثمانية قرون على الأقل وأن تستعين بهم على تحقيق مصالحها الإقتصادية والحربية التوسعية زمن البطالمة والرومان، ولما تغلغل سلطان هذه الطبقة الحاكمة في القرن السادس الميلادي عاد الإسم القديم "البجة" إلي هذه القبائل وظلوا يعرفون به فيما بعد. (٣٦)

بيد أننا نسمع في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين عن وجود جماعة تدعي باسم (البليين) في الصحراء الشرقية يتصفون بنفس صفات البليميين زمن الرومان, يقول عنهم الأدريسي: "وبين أرض النوبة وأرض البجة قوم رحالة يقال لهم "البليون" ولهم صرامة وعزم وكل من حولهم من الأمم بها يهادنوهم ويخافون ضرهم وهم نصاري خوارج على مذهب اليعقوبية , وكذلك جميع أهل بلاد النوبة والحبشة، وأكثر أهل البجة نصاري خوارج على مذهب اليعاقبة". (٣٧)

---

(٣٤) مصطفي مسعد:المرجع السابق, ص ٦، أنظر أيضًا Cosmas Indicoplevstes; Christian topography. ١٨٩٧, p. ٦

(٣٥) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة ,ص٤٩ , ايضا, مصطفي مسعد البجة والعرب ص٧.

(٣٦) نفس المرجع: ، ص ٧

(٣٧) الإدريسي: المصدر السابق، مجلد ١، ص ٤٧